

بسم الله الرحمن الرحيم.

## جوانب من الوجود الأندلسي المغربي في القدس الوسيط

مبارك لمين

جامعة ابن زهر/ المغرب

مقدمة

تعتبر مدينة القدس من الحواضر العالمية العريقة التي حظيت باهتمام كبير عبر التاريخ، ولا غرو في ذلك، إذا استحضرنا الثقل الديني لبيت المقدس الذي يؤمه المسلمون، والمسيحيون، واليهود. وقد ارتبط أهل الغرب الإسلامي بالقدس الشريف منذ اعتناقهم الإسلام، لتأخذ هذه الحاضرة المقدسة، إلى جانب مكة والمدينة، مكانتها في برنامج الرحلة المشرقية للعديد من رحالة هذا الصقع الإسلامي، ومنهم الأندلسيون والمغاربة. ولتجلية طبيعة الصلات المغربية الأندلسية مع القدس الشريف، وإبراز جوانب من الوجود المغربي الأندلسي بهذه المدينة، ارتأينا الاسهام بهذا المقال المتواضع .

وقد جاء اختيار العصر الوسيط، كإطار زمني لموضوع المشاركة، لتأكيد عراقة الوجود الأندلسي المغربي بالقدس الشريف، وللوقوف على مدى متانة الصلات الأندلسية المغربية ببيت المقدس، على مختلف المستويات. فما هي إذن أهم جوانب الوجود الأندلسي-المغربي في القدس خلال العصر الوسيط؟

تعددت مظاهر هذا الوجود لتشمل جوانب دينية، ووقفية، وعلمية، وسياحية.

### 1) الوجود الديني بين الزيارة والجوار

يؤم بيت المقدس المسلمون والمسيحيون واليهود، وقد ذكر ناصر خسرو، الذي دخل هذه المدينة في رمضان سنة 438هـ/ 1046م، أنها تأوي، إضافة إلى حجاج مسلمين، خلقا كثيرا "من أرض الروم وبقية البقاع المسيحية. كما يؤم المكان الكثير من اليهود، ويزور المسيحيون كنائسهم واليهود أكناسهم"<sup>(1)</sup>.

وقد سجل المغاربة في هذا الفضاء الديني المقدسي المتنوع حضورهم باعتبارهم زائرين عابرين، وبكونهم مجاورين مقيمين بالحرم المقدسي.

(1) سفرنامه، ص. 53.

## أ-زيارة الحرم المقدسي

دأب المغاربة على العروج على القدس الشريف بعد فراغهم من أداء مناسك الحج، حتى إن أحد الرحالة المغاربة، وهو محمد بن عبد الوهاب المكناسي (ت. 1200هـ/ 1750م)، وسم رحلته بعنوان: "إحراز المعلى والرقيب، في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل وقبر الحبيب".

غير أن الذي ميز الوجود الديني المغربي بالقدس الشريف، كان هو الجوار.

## ب-مجاورة الحرم القدسي

يعتبر الجوار إحدى دواعي رحلة المغاربة والأندلسيين إلى مدينة القدس. وتشير كتب التراجم إلى هذا الدافع بوضوح في رحلة بعض الأندلسيين. ومن خلال القراءة المتأنية في متون العديد من مصادر المكتبة الأندلسية والمغربية، أمكن الوقوف على جملة من الملامح بشأن هذا الجوار للحرم المقدسي، ومنها:

أولاً: مكانة الحرم القدسي بين الحرم لدى الأندلسيين

يأتي الحرم القدسي في الرتبة الثالثة بعد الحرمين المكي والمدني من حيث عدد المجاورين، ويتضح هذا بجلاء من خلال عملية الجرد الاستكشافي للعديد من كتب تراجم المكتبة الأندلسية التي أفرزت الأرقام التالية:

### توزيع الأندلسيين على الحرم الثلاثة<sup>(2)</sup>

النسبة المئوية	عدد المجاورين	مكان الجوار
84 88	73	مكة
09 30	08	المدينة
05 82	05	القدس
100 00	86	المجموع

ولا غرو، فإن هذه المعطيات تبدو بديهية، إذا استحضرننا المكانة الدينية للمسجد الأقصى التي تأتي في الرتبة الثالثة بعد المسجد الحرام، والمسجد النبوي؛ فقد صح عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛

(2) المجاورون الأندلسيون للحرم، بحث لنيل الإجازة في التاريخ، من إنجاز مجموعة من الطلبة، تحت إشراف: مبارك لمن، كلية الآداب والعلوم

الإنسانية، أكادير، 2004-2005.

المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى" (3).

ثانيا: تباين مدة جوار بعض الأندلسيين للمسجد الأقصى

اسم العلم	وفاته	موطنه	مدة الجوار
علي بن محمد المعافري <sup>(4)</sup>	605هـ	مالقة	جاور حتى الوفاة
علي بن محمد بن خزون <sup>(5)</sup>	602هـ	قرطبة	-
علي بن أحمد الكناني <sup>(6)</sup>	654هـ	قرطبة	تسعة أشهر
محمد بن أحمد بن جبير <sup>(7)</sup>	614هـ	بلنسية	-
عبد الله بن الوليد الأنصاري <sup>(8)</sup>	380هـ	-	أربعون سنة بين القدس ومكة، وتوفي بالقدس

يتضح من معطيات الجدول، أن مجاورة الأندلسي للحرم المقدسي، إما أن تكون مؤقتة، وإما أن تكون دائمة تمتد بالأندلسي إلى الوفاة هنالك، وقد مكن هذا الجوار الدائم بعض الأندلسيين من تولية مناصب هامة بالقدس، ومنها الإمامة.

ثالثا: تولية الإمامة

تبوأ الإطار الأندلسي مكانة محترمة لدى الجهات المتنفذة في القدس، فعلى إثر افتتاح هذه المدينة من قبل صلاح الدين الأيوبي، عيّن أحد الأندلسيين إماما فيها، ويتعلق الأمر بعلي بن محمد المعافري (ت. 605هـ/ 1208م) الذي خرج من مالقة متجها نحو بيت المقدس، حيث جاور هناك حتى الوفاة، وتميز تكوينه العلمي بالمشاركة في تخصصات عديدة شملت الحديث، والقراءات، والنحو، والخط، والتصوف<sup>(9)</sup>.

رابعا: اعتياد المغاربة الجوار بموضع محدد

(3) رواه الترمذي، وقال: "حديث حسن صحيح". سنن الترمذي: كتاب أبواب الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في أي

المساجد أفضل، الحديث رقم 326.

(4) الذيل والتكملة، س. 5، ق. 1، ص. 627.

(5) نفسه، ص. 673، التكملة: 3/ 585.

(6) الذيل والتكملة، س. 5، ق. 1، ص. 310.

(7) نفسه، س. 5، ق. 2، ص. 1172.

(8) بغية الملتمس: 2/ 961.

(9) الذيل والتكملة، س. 5، ق. 1، ص. 627.

اعتاد المغاربة الجوار بالبقعة قرب الزاوية الجنوبية الغربية لحائط الحرم، وفي أقرب نقطة للمسجد الأقصى، ومن ثم أوقفها عليهم الملك الأفضل سنة 589هـ<sup>(10)</sup> / 1193م.

#### خامسا: أوقاف لفائدة المغاربة المجاورين

حظي الجوار المغربي للحرم المقدسي بعناية رسمية وأهلية على مستوى الوقف. ونصت وثائق الوقف على أن المغاربة، عابرين ومقيمين، هم المعنيون بالعقارات الموقوفة؛ فوثيقة وقف أبي مدين شعيب، المحررة سنة 720هـ / 1320م، على سبيل المثال، تنص على أن "كلا من قرية عين كارم والإيوان حبس على المغاربة المقيمين بالقدس الشريف أو القادمين إليه"<sup>(11)</sup>. وفي حالة انقراض المغاربة من مدينة القدس، فإن الوقف يرجع إلى المغاربة المجاورين بمكة المكرمة وبالمدينة المنورة<sup>(12)</sup>. وتذهب وثائق وقف أخرى أبعد من ذلك، حين تؤكد على المساواة بين المغاربة في الاستفادة من العقارات الموقوفة؛ فالحارة التي أوقفها السلطان الملك الأفضل نور الدين سنة 589هـ / 1193م على المغاربة، تنص وثيقتها على أن الحارة موقوفة "على جميع طائفة المغاربة على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم، ذكورهم وإناثهم، كبيرهم وصغيرهم، فاضلهم ومفضولهم"<sup>(13)</sup>.

ولحفظ أوقاف المغاربة وحمايتها من المصادرة، أو مما يبطل استمراريتها، نصت وثيقة عمر المصمودي المحررة سنة 730هـ / 1330م، على أن وقفها "لا يرهن، ولا يوهب، ولا يُسَلَب، ولا يحل لمؤمن بالله أن يبطل هذا الوقف"<sup>(14)</sup>. وهكذا فإن الوثائق الوقفية حرصت على حماية حقوق المغاربة بالقدس الشريف، بتنصيبها على أن المغاربة هم الجالية المستهدفة من الانتفاع بتلك الأوقاف، وبتأكيدا على مبدأ المساواة بين المغاربة في الاستفادة من تلك الأوقاف، وكذا حمايتها لتلك الأوقاف من أي بطلان يحول دون استمراريتها. وقد شكلت هذه الأوقاف مظهرا آخر من مظاهر الوجود المغربي بالقدس الوسيط.

## 2) الوجود الوقفي بين الرسمي والأهلي

(10) أوقاف المغاربة في القدس، صفحاتنا 12-13.

(11) وثيقة وقف أبي مدين، عن: أوقاف المغاربة في القدس، ص. 48.

(12) نفسه.

(13) وقفية حي المغاربة بالقدس، عن: أوقاف المغاربة في القدس، ص. 40.

(14) وثيقة وقف المصمودي، عن المرجع السابق، ص. 47.

شكل الوقف مجالا بارزا سجل فيه المغاربة عطاءهم بالقدس. ويمكن التمييز في هذا الإطار بين نوعين من الأوقاف،

وهما:

#### أ-أوقاف رسمية

انفرد بنو مرين، من بين الدول المغربية الوسيطة، بالاهتمام بمجال الوقف في القدس الشريف، وتمثلت الأوقاف المرينية

هنالك فيما يلي:

#### أولاً: رصد غلاف مالي لاقتناء عقارات

خصص السلطان أبو الحسن علي بن عثمان ستة عشر ألفاً وخمسمائة دينار ذهبي لشراء الرباع بالقدس والحرمين

الشريفيين، سنة 738هـ/1337م<sup>(15)</sup>.

#### ثانياً: وقف المصحف المدعو بالربعة المغربية

قام السلطان أبو الحسن سنة 745هـ/1344م بانتساخ هذا المصحف بيده، وجمع الوراقين لتنميته وتذهيبه، كما أحضر

القراء لضبطه وتذهيبه<sup>(16)</sup>.

وإلى جانب الأوقاف المغربية الرسمية، عرفت القدس أوقافاً مغربية على المستوى الأهلي.

#### ب-أوقاف أهلية

أولاً: وقف أبي مدين شعيب: حررت هذه الوقفية سنة 720هـ/1320م<sup>(17)</sup>.

ثانياً: وقف المجاهد السيد عمر المصمودي: حررت هذه الوقفية سنة 730هـ/1329م<sup>(18)</sup>.

ومقابل العطاء المغربي في مجال الوقف بالقدس، استفاد المغاربة من أوقاف مشرقية رسمية، ويتعلق الأمر بوقف الملك

الأفضل نور الدين.

ولئن تباينت طبيعة هذه الأوقاف وهويتها، ما بين المغربية والمشرقية، والرسمية والأهلية، فإنها تصب كلها في خدمة

المغاربة، عابرين ومقيمين. ويمكن الوقوف على تلك الأوقاف من خلال الجدول الآتي:

(15) أوقاف المغاربة في القدس، ص. 21.

(16) نفسه، ص. 22.

(17) أوقاف المغاربة في القدس، صفحات 14-15.

(18) نفسه، ص. 19.

نوعية الوقف	السنة	الطرف الواقف	طبيعة الجهة الواقفة
- حارة المغاربة بمساكنها ومنافعها. - مدرسة عُرفت بالمدرسة الأفضلية. تخصيص غلاف مالي لشراء عقارات بالقدس الشريف.	1193 هـ / 589 هـ م 1338 هـ / 738 هـ م	الملك الأفضل نور الدين <sup>(19)</sup> السلطان أبو الحسن علي بن عثمان المريني <sup>(20)</sup>	رسمية
المصحف المدعو بالربعة المغربية الذي انتسخه السلطان بيده.	1344 هـ / 745 هـ م	السلطان أبو الحسن <sup>(21)</sup>	
- قرية عين كارم من قرى القدس. - إيوان وبيتين وساحة ومرتقى خاص، ومخزن وقبو، وتوجد هذه الأوقاف بقنطرة أم البنات، باب السلسلة.	1320 هـ / 720 هـ م	أبو مدين شعيب <sup>(22)</sup>	أهلية
- ثلاثة دور بحارة المغاربة. - جميع الزاوية بأعلى حارة المغاربة، وعدد حجراتها عشر.	1330 هـ / 730 هـ م	عمر المصمودي <sup>(23)</sup>	

تأسيسا على ما سبق، يتضح أن الوجود المغربي بالقدس، حظي بعناية رسمية وشعبية، على مستوى الوقف؛ بغية توفير أجواء مريحة للمغربي المجاور والعابر، وكذا الظروف المناسبة للاستفادة والإفادة العلميتين، باعتبارهما جانبا من جوانب الوجود المغربي هنالك.

(19) ينظر نص وثيقة هذا الوقف عند عبد الهادي التازي: أوقاف المغاربة في القدس، صفحاتنا 39-40.

(20) نفسه.

(21) أوقاف المغاربة في القدس، صفحاتنا 21-22.

(22) ينظر نص وثيقة هذا الوقف بنفس المرجع، صفحاتنا 41-45.

(23) ينظر نص وثيقة هذا الوقف بالمرجع نفسه، صفحاتنا 46-47.

### 3) الوجود العلمي بين الاستفادة والإفادة

اجتذبت مدينة القدس، باعتبارها مركزا علميا، العديد من الأندلسيين، من تخصصات علمية متباينة، ومن مدن أندلسية مختلفة، ويمكن تتبع ذلك من خلال استعراض بعض أسماء الراحلين، على سبيل المثال لا الحصر، انطلاقا من الجدول التالي:

التخصص العلمي	الموطن	السنوات (هـ)			اسم العَلم
		وفاة	رحلة	ميلاد	
الحديث	ميورقة	-	471هـ	449هـ	الحسن بن أحمد الغافقي <sup>(24)</sup>
الحديث	طليطلة	470هـ	452هـ	-	صادق بن خلف الأنصاري <sup>(25)</sup>
حديث، فقه، آداب، لغة.	إشبيلية	493هـ	485هـ	435هـ	عبد الله بن محمد بن العربي <sup>(26)</sup>
القراءات، الحديث.	قرطبة	498هـ	480هـ	417هـ	علي بن خلف العبسي <sup>(27)</sup>
حديث، فقه، تفسير، كلام، تصوف...	إشبيلية	543هـ	485هـ	468هـ	محمد بن عبد الله بن العربي <sup>(28)</sup>
القراءات	قرطبة	569هـ	499هـ	477هـ	علي بن أحمد الكناني <sup>(29)</sup>
الحديث	بلنسية	500	-	-	الحسن بن خلف الأموي <sup>(30)</sup>
حديث، فقه، أصول، تفسير...	طرطوشة	520هـ	-	451هـ	محمد بن الوليد الطرطوشي <sup>(31)</sup>

تعتبر القدس من جملة المحطات العلمية التي ارتادها الأندلسيون في بلاد الشام. ويبدو من المعطيات الإحصائية للرحلة العلمية الأندلسية إلى الشام، أن هذه المحطة تبوأَت الرتبة الثانية، كما يتضح من أرقام الجدول التالي:

(24) الصلة، رقم 323.

(25) نفسه، رقم 547.

(26) نفسه، رقم 640.

(27) نفسه، رقم 915.

(28) نفسه، رقم 1305.

(29) الذيل والتكملة، س. 5، ق. 1، رقم 310.

(30) نفع الطيب: 262/3.

(31) الصلة، رقم 1272.

توزيع الأندلسيين على المحطات العلمية الشامية<sup>(32)</sup>

النسبة المئوية	عدد الأندلسيين الداخلين	المحطة العلمية
54.06	20	دمشق
21.62	08	بيت المقدس
10.81	04	عسقلان
05.41	02	معرة
02.70	01	صور
02.70	01	عكا
02.70	01	الرملة
100.00	37	المجموع

وقد اتجهت المهمة العلمية للأندلسي بالقدس، خلال القرن الهجري الخامس / الحادي عشر الميلادي، نحو الاستفادة من الأجواء العلمية المقدسية تارة، ونحو الإفادة العلمية بهذه المحطة تارة أخرى.

أ- الاستفادة العلمية

شكل طلب العلم إحدى دواعي رحلة المغاربة إلى بيت المقدس، فإلى جانب الرغبة في تعميق التخصصات العلمية التي خرج بها الطالب من بلده، تطلعت همة بعض الطلبة إلى امتلاك ناصية تخصصات يفتقدها الوسط العلمي المغربي، أو على الأقل تتميز بضمورها في النسيج العلمي للمنطقة.

فقد انفرد بيت المقدس بمجالس المناظرات بين أقطاب الديانات الساوية الثلاث، إلى جانب احتضانه لمختلف الفرق الكلامية كالكرامية، والمعتزلة، والإمامية، والمشبهة<sup>(33)</sup>، إضافة إلى استيعابه للتناظر بين المدارس الفقهية مثل الشافعية والحنفية<sup>(34)</sup>.

(32) الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق خلال القرن الهجري الخامس، مبارك لمن، ص. 197.

(33) قانون التأويل، ص. 95.

والكرامية هم أصحاب أبي عبد الله محمد بن كرام. ينظر عن هذه الفرقة: الفرق بين الفرق، لعبد القاهر البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين، مكتبة دار التراث، القاهرة، (د.ت.)، ص. 215 وما بعدها؛ وكذا الملل والنحل، لمحمد الشهرستاني، تحقيق: عبد الأمير مهنا، وعلي فاعور، دار المعرفة، بيروت، ط. 1، 1410 هـ/ 1990 م، ج. 1، ص. 124 وما بعدها.

أما المشبهة، فلهم موقف من ذات الله وصفاته، وهم أصناف. ينظر عن هذه الفرقة: الفرق بين الفرق، ص. 225 وما بعدها؛ والملل والنحل، ج. 1، ص. 118 وما بعدها.

(34) قانون التأويل، ص. 94.

إن هذا الفضاء العلمي المتميز بالتباين العقدي، والتنوع المذهبي، وفر للمغربي فرصة التمكن من علوم طالما حُرِّم منها في بيئته العلمية المغربية والأندلسية التي يغلب عليها طابع الرتابة، أمام ضعف الرأي المخالف، ومحدودية نشاطه، على المستويين العقدي والمذهبي.

وفي هذا الفضاء العلمي المقدسي المتميز، وجد أبو بكر بن العربي ضالته المنشودة، حيث عكف على طلب التخصصات العلمية التالية:

#### أولاً: علم الكلام وأصول الدين

علم الكلام "علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية، والرد على المبتدعة المنحرفة في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة"<sup>(35)</sup>.

ويوفر القدس الفضاء المناسب لانتعاش هذا العلم، لتعدد التيارات الفكرية، وتباين التوجهات العقدية، مما يساعد على استيعاب قواعد هذا العلم ومناهجه.

وعلى هذا الأساس، لم يألُ ابن العربي جهداً في المواظبة على حضور مجالس الفرق والطوائف، تارة باعتباره طالباً مستمعاً، وتارة أخرى باعتباره متناظراً.

فقد فاوض الكرامية والمعتزلة والمشبهة واليهود<sup>(36)</sup>، كما حضر مجلس مناظرة بين التُّسْتَرِي الحبر اليهودي وأبي بكر الطرطوشي حول نبوة موسى عليه السلام وعلاقتها بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وانتهت المناظرة بإفحام اليهودي، "فبُهِتَ الخصم وانقضى الحكم"<sup>(37)</sup>.

وإلى جانب علم الكلام وأصول الدين، وفرت أجواء القدس العلمية فرصة للمغاربة لاستيعاب علمي الخلافات وأصول الفقه.

#### ثانياً: الخلاف وأصول الفقه

عكف أبو بكر بن العربي على تحصيل الخلاف وأصول الفقه بالقدس، وهما تخصصان باهتان في النسيج العلمي الأندلسي، مما انعكس على التكوين العلمي لهذا الفتى الأندلسي الذي استعصى عليه استيعاب ما دار في مناظرة فقهية بالمدرسة

(35) المقدمة، ابن خلدون: 3/ 1069.

(36) قانون التأويل، ص. 95، العواصم من القواصم، ص. 61.

(37) قانون التأويل، ص. 96.

الشافعية عند أول وروده بيت المقدس، فكان هذا التحدي العلمي عاملاً أساسياً في إرجائه السفر إلى الحجاز لأداء فريضة الحج<sup>(38)</sup>.

فكان أبو بكر بن العربي يتردد على مدارس الحنفية والشافعية يومياً "لحضور التناظر بين الطوائف"<sup>(39)</sup>. ولم يقف الطموح العلمي والهمة العالية لابن العربي عند الكلام وأصول الدين، والخلاف وأصول الفقه؛ بل تجاوز طلب هذه التخصصات إلى التطلع للزهد والتصوف.

#### ثالثاً: الزهد والتصوف

عد ابن خلدون<sup>(40)</sup> التصوف من جملة العلوم الشرعية الحادثة في الملة الإسلامية، فلم يكن التصوف مصطلحاً متداولاً عند سلف الأمة من الصحابة والتابعين. أما باعتباره ممارسة، فإن الشائع آنذاك هو الزهد المبني على الانقطاع إلى الله والإعراض عن الدنيا بزخرفها وزينتها.

وخلال القرن الهجري الخامس، اجتذب الزهد والتصوف بعض الأندلسيين الراحلين إلى القدس؛ فقد أفنى أبو بكر بن العربي عظيماً من زمان إقامته ببيت المقدس، سعياً وراء لقاء رجالات الصناعة. ومن جملة أهل التصوف الذين جالسهم هنالك: - أبو الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي المتبتل (ت. 490هـ/1097م): لقيه بالمسجد الأقصى في جمادى الآخرة سنة 486هـ/1093م<sup>(41)</sup>.

- عطاء المقدسي الزاهد<sup>(42)</sup>: لقيه بالمسجد الأقصى، ويسميه بشيخ الفقهاء والفقراء، ودار الحديث بينهما حول البكاء والتبكي.

- أبو عثمان سعيد بن حسان الصوفي الطليطي: جاور المسجد الأقصى لعدة أعوام، وساح في بلاد المشرق حتى بلغ أقصاها لمدة أربعين سنة، وصحب أقطاب التصوف حتى أصبح مقداً في الصناعة<sup>(43)</sup>.

(38) قانون التأويل، ص. 91-92.

(39) نفسه، ص. 94. تنظر في هذا الإطار مناظرة فقهية حضرها ابن العربي بمدرسة أبي عتبة الحنفية بالقدس. (قانون التأويل، صفحات 100-102).

(40) المقدمة: 3/1097.

(41) آراء أبي بكر بن العربي الكلامية: 1/33، عن: سراج المريدين، الورقة 73.

(42) النفع: 2/215.

(43) عارضة الأحوذني: 9/34-35.

- أبو بكر الفهري محمد بن الوليد الطرطوشي (ت. 520هـ/1127م): لقيه بالمسجد الأقصى، ونفع الله به في العلم والعمل<sup>(44)</sup>.

وصفوة القول، إن أبو بكر بن العربي شكّل نموذجا حيا لأندلسي رحل إلى القدس بهمة عالية لطلب العلم، هذا الطلب الذي تجاوز تخصصاته العلمية التي خرج بها من الأندلس، ليعانق تخصصات جديدة، تمثلت في علم الكلام وأصول الدين، والخلاف وأصول الفقه، والزهد والتصوف.

غير أن همة بعض الأندلسيين تجاوزت مستوى الاستفادة والأخذ العلمي في القدس، إلى مستوى الإفادة والعطاء العلمي، وخاصة في مجال التدريس.

#### ب-الإفادة في مجال التدريس

زواج بعض الأندلسيين بين الأخذ والعطاء العلميين بالقدس، ويعد أبو بكر الطرطوشي أبرزهم؛ فبعد رحلته العلمية عبر مكة وبغداد والبصرة، دخل الطرطوشي بلاد الشام حوالي 480هـ/1088م، بعد أن أتم دراسته. وقد أجمعت المصادر التي ترجمت له أنه قضى الفترة التي عاشها في الشام يعلم الناس، فأقبلوا عليه، وأفادوا من علمه<sup>(45)</sup>.

ويتميز التكوين العلمي للطرطوشي بالمشاركة في علوم عدة وفنون شتى؛ فقد انخرط في الحديث، والفقه، والأصول، والتفسير، والزهد<sup>(46)</sup>.

ويعد مواطنه أبو بكر بن العربي المعافري من حملة الطلبة الذين نهلوا من علمه، واستفادوا من حلقاته بالقدس، في موضع يسمى بالسكينة؛ حيث وقف ابن العربي على هدي شيخه، فامتلاّت عيناه، وأذناه منه، وانفتح له به إلى العلم كل باب، وانتفع به في العلم والعمل، وتيسر له على يديه أعظم أمل<sup>(47)</sup>.

وبموازاة مع الأخذ والعطاء في الحلقات العلمية، تطلعت همة بعض الأندلسيين إلى الفضاء المقدسي الكبير، بعيدا عن أجواء الحلقة العلمية، وبمنأى عن هيبة الشيخ، لتعانق مآثر تاريخية، وترصد ظواهر اجتماعية، من خلال الرحلة السياحية بمدينة القدس.

(44) قانون التأويل، ص. 93.

(45) تقديم "سراج الملوك" للطرطوشي، شوقي ضيف، صفحتنا 18-19.

(46) الصلة، رقم 1277.

(47) قانون التأويل، ص. 93.

#### 4) الوجود السياحي بين استطلاع المآثر ورصد الظواهر

زاوج بعض الأندلسيين والمغاربة بين الاستفادة العلمية واستطلاع معالم القدس الأثرية والاجتماعية. فقد وقف أبو بكر بن العربي وأبو بكر الطرطوشي على جملة من هذه المعالم الأثرية والظواهر الاجتماعية خلال إقامتهما بالقدس الشريف.

#### أ- استطلاع المعالم الأثرية

عاش أبو بكر بن العربي لحظات مع التاريخ عبر شواهد أثرية في مدينة القدس، رابطا بذلك المحصلة المعرفية النظرية لديه، بالواقع المقدسي الذي تعاقبت عليه الأحداث، وأقلت أرضه إنجازات الإنسان الحضارية. ويمكن تتبع المحطات الأثرية التي زارها ابن العربي من خلال الجدول التالي:

المعالم الأثرية	الوصف
محراب داود عليه السلام <sup>(48)</sup>	بناء عظيم من حجارة صلدة، يقدر طول الحجر بخمسين ذراعا، وعرضه بثلاثة عشر ذراعا، له باب ومدّرجة، ويحتوي على الدور والمسكن، ويوجد في أعلاه المسجد.
الشجرة الأثرية <sup>(49)</sup>	شجرة زيتونة بين محراب زكريا وبين باب التوبة والرحمة، ويعتقد أنها الشجرة المذكورة في القرآن <sup>(50)</sup> .
صخرة المائدة <sup>(51)</sup>	صخرة صلدة، ارتفاعها أسفل من القامة بحوالي الشبر، وحوها حجارة مثلها، ولها درجتان قبلة وجوفا، وقطعت هذه الصخرة من الأرض محلا لنزول المائدة من السماء <sup>(52)</sup> .
قبر يونس عليه السلام <sup>(53)</sup>	يوجد بقريّة جلعون بين المسجد الأقصى ومقام إبراهيم الخليل.
قبر يوسف عليه السلام <sup>(54)</sup>	يوجد قبلة قبور آبائه إبراهيم وإسحاق وزوجاتهم.

لم يكتف أبو بكر بن العربي في رحلته السياحية المقدسية بتغطية المعالم الأثرية، بل تعداها إلى التقاط صور لبعض المظاهر الاجتماعية والدينية التي أثارته فضوله.

(48) أحكام القرآن، ج. 4، ص. 1598.

(49) نفسه، ج. 3، ص. 1388.

(50) تنظر سورة النور، الآية 35.

(51) أحكام القرآن، ج. 2، صفحتا 523-524، نفح الطيب، ج. 2، صفحتا 247-248.

(52) يقصد الحادثة الواردة في القرآن الكريم، تنظر سورة المائدة، الآيات 114-117.

(53) أحكام القرآن، ج. 4، ص. 1621.

(54) نفسه.

ب-رصد ظواهر اجتماعية ودينية

شارك أبو بكر بن العربي أستاذه أبا بكر الطرطوشي في رصد عدة ظواهر اجتماعية بمدينة القدس، ويمكن الوقوف على

ذلك عبر معطيات الجدول التالي:

معطيات	ظواهر اجتماعية ودينية
رغم الصراعات السياسية التي تنخر القدس، واشتداد القتال بين عسكر المتنازعين، استمرت الأوضاع على حالها دون إعلان حالة طوارئ، ودون التفات عامة الناس إلى ما يدور في البلد على صغره.	عدم اكتراث العامة بالصراعات السياسية <sup>(55)</sup>
اعتكاف نساء بالمسجد الأقصى حتى استشهدن فيه على إثر اجتياح الروم للقدس.	اعتكاف المرأة واستشهادها <sup>(56)</sup>
وقوف الناس بالمسجد الأقصى يوم عرفة، مستقبلين القبلة، ومتضرعين بالدعاء، واعتقادهم أن ذلك يعدل حجة إذا تكرر أربع مرات.	عادات دينية <sup>(57)</sup>
إحداث صلاة الرغائب في شعبان بيت المقدس سنة 448هـ من قبل رجل من نابلس.	
إحداث صلاة رجب في بيت المقدس بعد سنة 480هـ.	

صفوة القول، إن الوجود المغربي الأندلسي بالقدس الوسيط، شمل مجالات عديدة، وتمثل في مظاهر شتى، منها الدينية  
بزيارة الحرم المقدسي ومجاورته، ومنها الوقفية ما بين الرسمية والأهلية، ومنها العلمية بالاستفادة والإفادة، وأخيرا السياحية  
باستطلاع معالم أثرية، ورصد ظواهر دينية واجتماعية.

\* \* \*

(55) أحكام القرآن، ج. 4، ص. 1598.

(56) نفسه، ج. 3، ص. 1535.

(57) الحوادث والبدع، صفحات 259-260 و 266-267.

## المصادر والمراجع

### (1) المصادر

- أحكام القرآن، أبو بكر ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، 4 أجزاء، ط. 3، دار الفكر، مصر الجديدة، 1392هـ/1972م.
- بغية الملتبس في تاريخ رجال الأندلس، أحمد بن يحيى الضبي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، جزآن، ط. 1، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة-بيروت، 1410هـ/1989م.
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، محمد ابن عبد الملك، السفر 5، ق. 1، تحقيق: إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، 1965.
- سراج الملوك، أبو بكر الطرطوشي، تحقيق: محمد فتحي، تقديم: شوقي ضيف، م. 1، ط. 1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1414هـ/1994م.
- سفرنامه؛ رحلة ناصر خسرو القبادياني، ناصر خسور، ترجمة وتقديم: أحمد خالد البدي، ط. 1، جامعة الملك سعود، الرياض، 1403هـ/1983م.
- عارضة الأحوذى لشرح صحيح الترمذي، أبو بكر ابن العربي، ج. 9، دار الكتاب العربي، بيروت، (د.ت.).
- قانون التأويل، أبو بكر ابن العربي، تحقيق: محمد السليمان، ط. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990.
- كتاب الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وأدبائهم، خلف ابن بشكوال، تحقيق: إبراهيم الأبياري، 3 أجزاء، ط. 1، دار الكتاب المصري، ودار الكتاب اللبناني، القاهرة-بيروت، 1410هـ/1989م.
- المقدمة، عبد الرحمن ابن خلدون، تحقيق: علي عبد الواحد وافي، 3 أجزاء، ط. 3، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، 1981م.
- نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، أحمد المقرئ، تحقيق: يوسف البقاعي، ج. 3، ط. 1، دار الفكر، بيروت، 1406هـ/1986م.

### (2)

### المراجع

- آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، عمار الطالبي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1394هـ/1974م.

- 
- أوقاف المغاربة في القدس، عبد الهادي التازي، مطبعة فضالة، المحمدية، 1401هـ/1981م.
- الرحلة العلمية الأندلسية إلى المشرق خلال القرن الهجري الخامس، مبارك لين، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان، 1421-1422هـ/2000-2001م.
- المجاورون الأندلسيون للحُرْم، بحث إجازة، إنجاز: مجموعة من الطلبة، إشراف: مبارك لين، شعبة التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، الموسم الجامعي 2004-2005م.